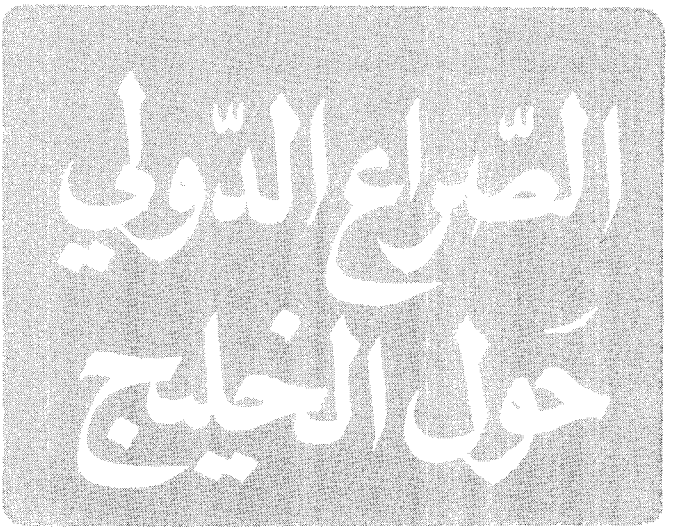


قراءة في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً

بقلم : احمد جلال التدمري

واجه الخليج العربي منذ القدم هجمات أجنبية وأطماعا دولية للسيطرة عليه واقتناص ثرواته، ولاتخاذه معبرا للتجارة بين الشرق والغرب. وبعد أن كان الخليج أشبه بالبحيرة العربية تقطن سواحله شرقيها وغربيها القبائل العربية المعروفة بأصالتها وبعراقتها، انتشرت على شواطئه الشرقية وبعض جزره المراكز الأجنبية من برتغالية وانجليزية وهولندية وفارسية. حتى كانت حملات التحرير العربية التي أجلت البرتغاليين وواجهت الفرس والانجليز والهولنديين.

إن البحث عن الوثائق والمعلومات التاريخية المسندة يبقى هاجسا دائما يراود كل باحث ودارس في هذا الميدان، لربط الأحداث والكشف عن الحقائق والتوثيق من الروايات التي جلها ذات مصادر أجنبية.

وخلال البحث والتنقيب عن الوثائق التاريخية ذات الصلة بخليجنا العربي، وبتعاون من الجهات الأرشيفية الرسمية عثرت على عدد من الوثائق الهولندية التي كانت مجهولة. ونظرا لأهميتها التاريخية وجدت من واجبي كباحث أن أضمنها هذه الدراسة.

ودراستي هذه بمثابة المطالعة للوثائق التاريخية عن مرحلة حساسة من تاريخنا تشمل فترة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ومن ثم الربط بينها في نسيج يوضح حقيقة الوقائع ومسيرة الأحداث لتعكس في النهاية صورة عن الماضي القريب والبعيد الذي لا زالت مؤثراته وذيوله ممتدة الى واقعنا الحاضر وربما الى المستقبل المعاش قريبه وبعيده.

القوة البحرية في الخليج العربي

شغل القواسم منذ مطلع القرن السابع عشر زعامة البحر وقيادة السفن الحربية إبان عهد الدولة اليعربية. إضافة إلى أن سفنهم التجارية كانت تجوب الخليج وشواطىء شرق إفريقيا وموانىء الهند، والبحر الأحمر.

وفي أواخر عهد اليعاربة برز القواسم ومن خلفهم قبائل الساحل كأبطال نضال ضد المستعمرين وكزعماء في الساحل الشرقي والغربي وجزر[1] الخليج العربي ومن خلال زعامتهم القبلية التي انفردوا بها في الساحل الشرقي للخليج منطقة بندر لنجة وجزيرة قشم وما جاورها وساحل الشميلية على الشاطىء الشرقي للامارات المطل على خليج عمان والتي ازدهرت فيها مدن دبا وكلبا وخورفكان... وكذلك الشاطىء الغربي للامارات مثل مدن رأس الخيمة والشارقة، كان للقواسم دور مشهود في مقارعة الغزاة ودحر المحتلين.

أطلق أسم الهولى على القبائل العربية التي تقطن الساحل الشرقي للخليج العربي ومعظمها من قبائل آل سميط والعتوب والدواسر والمرازيق وآل بوعلي والمطاريش في بوشهر والزعاب في بندر ريق، إضافة الى القواسم الذين تركز وجودهم في جزيرة قشم وبندر لنجة ولاراك وما جاورها. إلى جانب وجودهم في مدن الساحل الغربى للخليج.

لقد كان التماسك العربي في حوض الخليج العربي شرقيه وغربيه قويا في مقارعة الاحتلال البرتغالي وفي التماسك بين القبائل العربية على كلتا الضفتين وفي المناطق الداخلية لعمان مما أضاف لدولة اليعاربة قوة مكنتها من إنجاز الكثير من المهام التحريرية. ففي عام ١٦٢٠ تمكن العرب بالتعاون مع الفرس من طرد البرتغاليين من

موقع احتلوه على الساحل الغربي للخليج قرب جلفار ـ رأس الخيمة[٢] الا أن الفرس هادنوا بعد ذلك البرتغاليين وعقدوا معهم في عام ١٦٢٥ إتفاقية صلح اعترف فيها البرتغاليون بانتقال هرمز وقشم الى الشاه عباس مقابل حصولهم على نصف العوائد الجمركية فى كنج بالقرب من لنجة. وهكذا ساءت العلاقات العربية الفارسية بسبب مهادنة الفرس للبرتغاليين وخاصة أن البرتغاليين كانوا لا يزالون يحتفظون بقوات لهم في برج حصين قرب جلفار، مما جعل هذا التحالف ينقلب الى احتلال فارسى لحصن الصير واحتلال برتغالي لحصن آخر بالقرب من جلفار، إضافة الى وجود سفن حربية برتغالية فى ميناء جلفار. وهكذا كان لزاما على القوات العربية فى عهد الامام ناصر بن مرشد أن تتوجه لتحرير هذه المواقع من المحتلين[٣] حيث وقعت معارك عنيفة فى مواجهة القوات الفارسية والبرتغالية. ورغم التمركز القوي والمحصن للقوات الفارسية والبرتغالية فقد تمكنت القوات اليعربية بقيادة/ علي بن احمد من تحرير حصن الصير بعد معارك رهيبة سارع خلالها البرتغاليون بإمداد الفرس بالأسلحة والسفن إضافة الى إطلاقهم نيران مدافعهم على القوات العربية المحاصرة للحصن. تدعيما من البرتغاليين للفرس، وكادوا بهذا الدعم أن يحولوا بين العرب وبين تحرير الحصن، إلا أن شجاعة القوات العربية وتصميم قائدها على النصر أو الموت أدى الى تمكنه من الاستيلاء على الحصن وطرد المحتلين منه[٤].

وبإحراز القوات العربية اليعربية لذلك النصر في تلك المعركة تمكنت من حصر النفوذ البرتغالي داخل القلعة التي تقوقعوا فيها حيث أجبروا فيما بعد وإثر معارك ضدهم على الاستسلام للقوات العربية وطلب الأمان.

إن روح العرب العمانيين العالية وتصميمهم على النصرواسترداد الحقوق والذود عن حياض الأرض والمياه العربية جعلتهم يتبوأون مكانة عالية في المنطقة وبلغت القوة البحرية العربية بالذات في عهد الامام سيف بن سلطان اليعربي أقصى قوة لها فأخذ بمقاتلة القوى المعادية... البرتغاليين في المحيط الهندي والفرس في مياه الخليج العربي[٥]. فقد تحركت قوة بحرية عربية قوامها الف وخمسمائة مقاتل لمهاجمة منطقة كنج الخاضعة للفرس القريبة من بندر لنجة العربي على الشاطىء الشرقي للخليج العربي وقضت هذه القوة على قوات الفرس واستولت على الكثير من الثروات وكبدتهم خسائر فادحة، مما أدى بالفرس الى طلب العون من الوكالات الانجليزية لوقف أو إعاقة القوات العربية من التقدم نحو فارس ومن ثم لمهاجمة مسقط. وكان الهولنديون أيضا على استعداد لتقديم

البحارة العرب في أسطول نادر شاه

يرفضون محاربة إخوانهم على الشاطئ العربي

المساعدة للفرس مقابل أن تقدم السلطات الفارسية لهم تسهيلات تجارية، إلا أن الفرس تراجعوا عن فكرة مهاجمة مسقط[٦] لتقديرهم بأن الهجوم لن تكون نتائجه فى صالحهم.

واستمرت بعد ذلك محاولات تكوين جبهة فارسية برتغالية ضد التفوق البحري العربي في أواخر القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٩٦ وصلت الانباء الى الامام سيف بأن هناك اتفاقا بين الفرس والبرتغاليين لمهاجمة مسقط. ولهذا بادر الامام بشن هجوم مفاجيء على أكبر المراكز البرتغالية في منطقة مانجالور فقضى بذلك على محاولتهم في مهدها ومنع الحليفين من بلوغ أهدافهما[٧].

وإثر هذه المعركة يئس الفرس من الدعم البرتغالي فتوجهوا الى القوى البحرية الجديدة في الخليج وهي الانجليزية والهولندية يطلبون مساعدتها ضد اليعاربة. الا أن الانجليز وقفوا على الحياد فى الصراع العربي الفارسي نظرا لعدم تعرض قوات الامام سيف للتجارة والسفن الانجليزية.

وفي عام ١٧٠٧ قام الاسطول العربي بأسر عدد من السفن والقوارب الفارسية، وفي عام ١٧٢٠ استولى الاسطول على عدة جزر من أهمها جزيرة قشم، وقد أغضب ذلك الفرس فأرسلوا جيشا يقوده/ علي خان/ الى بندر عباس لاستعادة هذه الجزر، لكن غزو الافغانيين لبلاد فارس أرغم هذه القوة على التراجع نحو كرمان دون أن تحقق شيئا من مهمتها[٨].

لم تكن للفرس قوة بحرية خالصة منهم، لذلك حاولوا لتحقيق اهدافهم الاستعانة بالبرتغاليين والانجليز والهولنديين والفرنسيين، ليحاربوا بدلا منهم[٩]. وباعتبار أن سكان الخليج العربي على شاطئيه الشرقي والغربي معظمهم من العرب وان القبائل الفارسية موطنها البلاد الداخلية والجبال. لذلك لجأ نادر شاه ملك الفرس الى العرب عندما قرر إعداد اسطول حربي ليواجه به البرتغاليين. فجند منهم بحارة ونواخذة لذلك الاسطول. لكنه لم يستطع استغلالهم وتوجيههم لمحاربة

اشقائهم العرب فى مسقط والساحل العماني. فإن شعورهم القومي وإنتماءهم العربي جعلهم يرفضون محاربة أبناء جلدتهم رغم السيطرة الفارسية عليهم وعلى بلدانهم ورغم عملهم تحت راية ذلك الاسطول. لذلك شهدت حملات الاسطول الفارسي ضد العرب عصيانا من البحارة العرب وتمردا عنيفا كثيرا ما أدى الى إيقاع ضربات بذلك الاسطول وبالبحرية الفارسية مما جعلها تخفق كثيرا في هجماتها على السواحل والموانىء والجزر العربية.

وذكرت وثيقة هولندية اكتشفت حديثا تناولت معلومات دونها المعتمد الهولندي في بندر عباس في ١٧٣٨/١٠/٨ انه :ـ وردت أنباء من جيش الشاه في الجانب الغربي العربي للخليج حول الانتصارات على الفرس، مثل طرد العرب للفرس من مسقط ووضعهم تحت الحصار في جلفار برا وبحرا مع بحريتهم. لهذا السبب فإن حركة التنقل للفرس قد أغلقت، كما أن سفن الشاه قد حوصرت. وبمعركة بحرية أحرق بعضها على الشاطىء. ومن السفن الفارسية التى انحرفت الى الشاطىء السفينة الكبيرة/فالتي شاه/بينما هوجمت ايضا سفينة بريطانية ضخمة كانت قد أجرت إلى الفرس. وكانت حتى ذلك الوقت لا زالت في ميناء جلفار وقد أسر قائدها واثنان من بحارتها (١٠).

وكان من نتائج حملات نادر شاه على عمان لاحتلال مسقط تمرد البحارة العرب فى الاسطول الفارسي، وقيامهم بقتل القائد الفارسي/علي خان/في مسقط، واستولوا على عدد من قطع الاسطول الفارسي وهاجموا مدينة باسيدو في جزيرة قشم ثم توجهوا نحو خورفكان طلبا لحماية الحاكم القاسمي.

وكانت ردة الفعل قاسية على نادر شاه فطلب النجدة من الهولنديين والانجليز الذين أمدوه بسفينتين حربيتين هولنديتين وحوالي عشرين سفينة من نوع الغراب، وتوجهت هذه القوة مع سفن اخرى اعدها تقى خان القائد الفارسى نحو رأس الخيمة وخورفكان لمقاتلة القواسم. وفي ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٧٤٠ التقت قوات تقى خان بالاسطول القاسمي فكانت الغلبة للقواسم مما اضطر الحملة الفارسية الهولندية الى الانسحاب لجزيرة قشم فلحقها الاسطول القاسمي وأجبرها على الهرب الى ميناء كينج الفارسي. وعاد بعدها الاسطول القاسمي الى قواعده سالما (١١).

ولكن ذلك لم يترك لنادر شاه أن ييأس، فأخذ يتابع تحرك السفن العربية وعين قائدا بحريا جديدا هو السردار/فردي خان الذي تحرك الى جزيرة قيس عندما علم بأن البحارة العرب المتمردين على الاسطول الفارسي السابق ينزلون فيها.

واصطحب معه سفينتين هولنديتين كان قد احتجزهما في بندر عباس. وبوصول القائد الفارسي الى جزيرة قيس ومعه قواته واسطوله التحم فى قتال شديد مع البحارة العرب أصيب خلاله السردار بجرح قاتل مات على إثره وتراجع اسطوله خاسرا إلى بندر عباس.

وقد أدت الخسائر المتواصلة لاسطول نادر شاه والفشل الذى مني به الى تخلى نادر شاه عن إنشاء قوة بحرية فارسية فى منطقة الخليج العربي. ولم يكن ذلك مفاجأة للقوة الاجنبية في الخليج فقد تنبأ بذلك الفشل وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية في بندر عباس حين قال : ـ [إننا نعتقد بأن مشروع نادر شاه في تأسيس الاسطول الفارسي غير ناجح. وان نجاح الاسطول الفارسي سيتوقف على تعاون العرب مع الفرس، أما الفرس فإنهم بطبيعتهم يكرهون ركوب السفن.] (١٢) ويقول السير بيرسي المهتم بالشئون الفارسية مؤكدا جهل الفرس بشئون البحر وعلل هذه الظاهرة تعليلا جغرافيا. إذ لاحظ أن السواحل الشرقية للخليج العربي مفصولة عن الداخل بسلسلة من الجبال الشاهقة (١٣) يقطن خلفها الفرس، فى حين كان معظم القاطنين على الساحل الشرقي للخليج من العرب.

ورغم محاولات نادر شاه وغيره من ملوك الفرس القضاء على الوجود العربي على الشاطىء الشرقي للخليج باحلال القبائل الفارسية مكانهم فإن هذه السياسة لم تنجح تماما فقد بقي للعرب وجود.

لم يوهن التحالف العدواني الانجليزي الهولندي الفارسي من عزيمة العرب، بل زادهم تصميما على التضحية والفداء. ويقول جان جاك بيربى فى وصف أعمالهم الفدائية : ـ (وأخذوا يقومون بأعمالهم تلك وهم مرتاحو الضمير، لانهم إنما يفعلونها لتحرير بلادهم.) ويقول مالكولم : ـ (ولو كنت أسيرا لديهم وقدمت لهم كل ما تملك مقابل حياتك، لرفضوا ذلك بإباء وشمم.. وقالوا : ـ إننا لا نسرق الأحياء.(١٤)

شكل تحرير مدينة جلفار في عام ١٦٣١ من الاحتلال الفارسي والبرتغالي نصرا مؤزرا للدولة اليعربية. وقد كان ذلك الجيش العربي مسندا بالقواسم الذين شاركوا في تلك المعركة، وقد برز فى ذلك الزعيم القاسمي ـ كايد بن عدوان ـ الذي شارك فى القتال(١٥) ثم برز القائد القاسمي رحمة بن مطر خلال الأحداث الداخلية وخاصة في وقائع معركة المصنعة أو معركة بركا في عام ١٧٢٣. وكان قد وطد ملكه في رأس الخيمة فى موقع المعيريض أحد أحياء مدينة رأس الخيمة اليوم. ثم توسع في إمارته حتى شملت خورفكان(١٦)

ويذكر أيضا أن قوة يعربية اتجهت في عام ١٧١٦ الى جزيرة قشم وفي

طريقها توحدت مع قوات قاسمية أرسلها الشيخ رحمة بن مطر من بلدة الصير ـ رأس الخيمة ـ بهدف السيطرة على الجزيرة وتحريرها من الاحتلال الفارسى، حيث أن سكان الجزيرة من القبائل العربية من بني معين وغيرهم... وقد تمكنت القوات اليعربية القاسمية من النزول فى الجزيرة والسيطرة عليها، وأسس القواسم فيها محطة تجارية[١٧] ثم حاولت هذه القوات العربية السيطرة على هرمز، إلا أنها لم تنجح، فتركتها واتجهت لتجهيز نفسها والاستعداد لمهاجمة البحرين.

وبقيادة سلطـان بن سيف الثاني تـوجهت قوات الـدولة اليعـربيـة والقواسم في صيف عام ١٧١٧ نحو البحرين لتخليصها من الاحتلال الفارسى. وبعد قتال طويل وعنيف بين الطرفين تكبدا فيه خسائر فادحة في الأرواح والمعدات هرب القائد الفارسي من البحرين إلى فارس. فدخلها الأمام سلطان بن سيف بقواته ومعه مراكب الغواصين البحرينيين، وأعاد هناك بناء قلعة عراد الشهيرة[١٨]

ويذكر أنه فى عام ١٧٢٤ تولى الشيخ رحمة بن مطر زعامة القواسم بعد وفاة أبيه وسجل مطر بطولة مشهودة في حملة بحرية غادرت في عام ١٧٢٦ رأس الخيمة لاستعادة جزيرة قشم فنزلت القوات القاسمية في ميناء باسيدو مما أثار مخاوف شركة الهند الشرقية البريطـانية التي أرسلت وحدات بحرية مكونة من السفينة (بريطانيا(BRITANNIA)) والسفينة (بنغال (BANGAL)) وسفن اخرى أخف منها للحراسة. وبعد معارك شديدة انسحب القواسم الى الصير فى رأس الخيمة، وارسل الانجليز وفدا الى الشيخ مطر ليفـاوضه بـدفع تعويضات عن الخسائر البريطانية بسبب تلك العملية. وعلى ما يذكر بأن تلك الحادثة هي أول صدام مسلح مباشر بين الانجليز والقواسم[١٩]

وكما هو معهود من الحمية العربية عند دولة اليعاربة والقبائل العربية فى الخليج العربي والتي شهد لها التاريخ بطولاتها عندما طاردت قوات اليعاربة البرتغاليين من سواحـل افريقيـا الشرقيـة، فـأجلتهم عن زنجبـار وممباسة في سنة ١٦٦٢ فعاشت تلك البلاد في استقرار وازدهار إلى أن امتد التسلط البريطاني في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر الى شرق أفريقيا. مما دعا زعماء تلك البلاد الى الاستنجاد بسليل زعماء البحار في الخليج وبحر العرب الشيخ سلطان بن صقر القاسمي فكتبوا [٢٠] يستنجدونه على المستعمرين الانجليز الذين حلوا ببلائهم على العباد والبلاد فى تلك البقاع. ومما جاء في رسالتهم الى الشيخ سلطان : ـ «الموصوف بأقل صفاته. المعروف برشح صفاته سلطـان بن صقر القاسمي حرسه الله في حياته من فضيحة وفقر، وفي آخرته عن السعير

وصقر.. ومراد الورقة السلام عليكم وايصال أخبارنا إليكم وتذكير طاعتنا وشوقنا لديكم، أقول لك يا أمير المؤمنين متع الله بحياتكم المسلمين وأيد الله بك الدين ونصر بجندك المجاهدين فإن ملوك أهل الاسلام ضيعوا الشريعة، ولينوا أركانها المنيعة، ونادوا سلاطين الكفار، واستمدوا على أهل الأمصار حتى أنزلوا القرين في عدن سمية الجنة وأقدم مسكن. أحلهم الله دار البوار وانتقم منهم بعذاب النار وذلك من الرعب المقذوف فى قلوبهم، وهذا من جملة عيوبهم والواجب عليكم تقويمهم، لاقامة الحنيفية وإظهارها ولذب رافضيها عنها وإشهارها ونحن أهل بادية وأصحاب ماشية. لكننا أولو قوة وأولو بأس شديد وأصحاب جرد ومرد وعد عديد لكننا ناؤون عن الساحل لا نصله إلا بشق الأنفس والرواحل. لكن بحمد الله قد طلع من الساحل نجم ثاقب وأسد رابض راقب، لزم وألزم التوحيد ونفى الشرك والتنديد وهو السلطان الصالح الناصح الحاج العاقل فارح. سلمه الله وحياه وحرسه وهداه وبياه، فصار واسطة بين الطرفين ومأوى لكلا الفريقين. وقد بحث هو وسلاطين المسلمين بالاستخبار وساس قوانينهم باعتبار. فتحصل له من مناقبك ما أسر خواطره، وحرك مشاعره وليثاقه مع محمد بن سالم بن علي، عليه رحمة ربه العلي عن المنكر وذكرهم بهول القيامة والمحشر وأطع الله وأطع الرسول. اذ كل راع عن رعيته مسئول، وجاهد الكفار والمنافقين وأقم الحدود على الكافرين والزناة والسارقين فلا يجوز لك أن تهادن الكفار فوق أربعة أشهر، ووجب علينا إتباع الأمير الموحد المجاهد الامر الناهي القائم المساعد ونحن معدودون من رعيتك ومستريحون بمعيتك فساعدنا بيدك ولسانك، لقوله صلى الله عليه وسلم (المؤمنون يد واحدة على من سواهم، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا). ونحن، محتاجون إلى مدد وحتى كلامك يكفينا إذا أمرت السواعي المسافرة إلينا، أن يقوموا معنا ويجاهدوا في سبيل الله، بحيث إذا جاءوا عندنا ما يخالف أحد من الصومال لأنهم يهابون إذا سمعوا أن السلطان ابن صقر قائم للجهاد فيهابون ويقولون كلهم نحن من رعيته هذه السواعي المسافرة تكفينا بحول الله وقوته وما ترى أن شاء الله إلا وهم داخلون تحت طاعته في سنة واحدة. ولا يضر هذا البعد الذي بيننا لأن السواعي مقربة تحمل الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس.

واضافت الرسالة : ـ

فاجتهد في ضم ملك الصومال الى ملكك فان المملكة سعادة لمن أدى حقها شقاوة لمن طغى وآثر الحياة الدنيا. فيجب عليك أن تعاوننا باليد واللسان ويجب علينا السمع والطاعة.. فيجب عليك أن تمدنا برجال وأموال.

وتساعدنا بسواعى وأقوال، لأنك اذا أمرت السواعي المسافرة، والرجال المسافرة بالتناقيق والسفن ويحاربون معنا، الكلاب والكفار والعفن.

فنسأل لك بوجه الله الذى لا يجوز رد السائلين به أن تساعدنا وتمدنا بالاعانة الواجبة عليك، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما معناه (ان الله فى عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) ويجب علينا السمع والطاعة، وعلى الله نصر المؤمنين فالله.... الله لا تتساهل في كلامنا هذا فانه مجلب الظفر ومعلم النصر ومكسب الاجر وتوكلوا على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

«ان الله بالغ امره، انا لننصر رسلنا والذين آمنوا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، أن الله قوى عزيز وكان حقا علينا نصر المؤمنين، أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والغالبون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين، وما يعلم جنود ربك الا هو».

وقد نزلت من البادية البعدى، الى قرى الساحل القربى، عند الحاج الأفخر، والسلطان الأعز فارح حرسى. وأنا منتظر منك سعده الى الفتوح والأمر كله لله واليه يرجع الأمر كله. وجيوش البادية علينا، ولو تبغي ثلاثين ألف خيال لكن ما لنا قوة في البحر غير الحاج فارح. لكن أصحابه وبنو أعمامه لا يقومون للحق ويحسدون عليه، واذا جاءت سواعي منكم وذكروا أنك قائم معنا يهتابون ولا يتكلمون بكلمة، ولا يقدرون أن يخالفوننا، فان لم تقدر ترسل لنا سعده مستعدة، فالله الله، قل للمسافرين الجائين من أراضيهم، أرسلنا السلطان صقر لنجاهد الكفار الذين فى أرض الصومال مع الحاج علي والحاج فارح، فان ذلك ينفعنا نفعا جما، وان لك فيه أجرا لما. فأعينونا بقوة حتى نجاهد الصومال وندخلهم في الاسلام والايمان باذن الله الرحمن، ونملك فيهم بعون الله الملك المعبود لما سمعنا فيك من الخصال الحميدة والمناقب العديدة والفضائل السعيدة، والفواضل المفيدة فأحببنا أن نكون لك عساكر مجاهدين وفوارس مساعدين.»

وذكرت المصادر التاريخية أن الشيخ سلطان بادر الى مديد العون والمساعدة ولم يتأخر عن تلبية نداء إخوانه في الدين في الصومال فأرسل لهم ما يمكن إرساله من الرجال والسفن (٢١)

التجارة واجهة للغزو:

اعتمدت هولندا وانجلترا في دخولهما إلى البحار الشرقية ومنطقة الخليج العربي على أسلوب تشكيل شركات تجارية خاصة أو مشتركة مع السلطات الحكومية فى موطنها. حتى يكون تعاملها مع تلك البقاع مقبولا ومرحبا به من الأهالي ومن زعماء تلك البلاد. في حين فشلت الاساطيل الحربية الغازية التي قصدت احتلال

بلدان أو جزر بالقوة ومن ثم تسيير مصالحها التجارية كما فعل البرتغاليون.

لهذا استطاع الانجليز والهولنديون التسلل إلى منطقة الخليج وغيرها من البلاد الواقعة شرقي افريقيا. رغم أنهم وفروا لسفنهم التجارية ولمقار وكالاتهم الحماية العسكرية. مما حولهم فيما بعد إلى مستعمرين ومحتلين لبعض تلك المناطق.

وكمثال على ما تقدم سبق لتاجر انجليزي يدعى/ ريتشارد شان Richard Chan أن أسس في عام ١٥٥٥ شركة تحت اسم (شركة روسيا)[٢٢] إثر رحلته البرية الى روسيا في عام ١٥٥٣ ومن ثم رحلة لبعثة شركته الى بلاد فارس برئاسة انتوني جانكسون. للحصول على الحرير الفارسي وكان ذلك في عام ١٥٦١.

وكذلك رحلة التاجر الانجليزي/ نيوبري New Beria في عام ١٥٨٠ عبر بلاد الشام والتي اعقبتها رحلة أخرى رافقه فيها عدد من التجار الانجليز مثل / رالف فينش ووليام ديداز وجيمس سنوري. وقد أثمرت هذه الرحلات قيام معاملات تجارية مفيدة.

وفى حين كان التجار الهولنديون يقومون بدور تجار التجزئة بشرائهم البضائع الشرقية من لشبونة وبيعها فى الدول الأوروبية الاخرى[٢٣]، كان البرتغاليون يحتكرون التجارة مع الشرق ويسيطرون على تلك البلاد وعلى الطرق الموصلة إليها.

وفي ٣/١٠/١٦٠٠ أسس مجموعة من التجار الانجليز شركة خاصة للاتجار مع الشرق مباشرة لاستيراد التوابل والحرير والعقاقير والعطور واللؤلؤ والمجوهرات مقابل تصدير البضائع الانجليزية من المنسوجات القطنية والنحاس والقصدير. واختاروا أسما لها هو (محافظ وشركة تجار لندن الذين يتاجرون مع الهند الشرقية) تحول فيما بعد الى / شركة الهند الشرقية[٢٤]. واتخذت هذه الشركة شكلا رسميا إثر إصدار الملكة اليزابيث الأولى مرسوما يمنحها الحق المطلق فى احتكار التعامل التجاري مع الشرق.

وبذلك اقتحمت هذه الشركة أبواب الهند ومن ثم بلاد فارس ومنطقة الخليج العربي حيث اكتسبت مكانة وقوة بما لقيته من دعم عسكري ورسمي بريطاني جعلها تتحكم فى المنطقة وأدت الى دخول الاستعمار البريطاني إلى معظم مناطق شرق السويس. مستعينة بالتحركات السياسية والصلات الدبلوماسية ومن ذلك ما عرضه مبعوث الملك جيمس على الشاه عباس في عام ١٦١٧ لانشاء مؤسسات تجارية إنجليزية في فارس مقابل تعهد بريطانيا بالوقوف عسكريا الى جانب فارس إذا تعرضت لغزو أجنبي[٢٥].

وإثر بدء انحسار التسلط البرتغالي عن منطقة الخليج العربي أخذ الهولنديون والانجليز في التقدم للحلول مكان البرتغال في المنطقة. مخالفين بذلك الامر البابوي [٢٦] الذي منح ممتلكات الشرق للبرتغاليين وممتلكات الغرب للاسبان. وهما الدولتان الأكبر سطوة واتساعا في اكتشافاتهما البحرية وتجارتهما الخارجية.

وبينما كان التجار في البلاد الواطئة يتعاملون مع التجار البرتغاليين في لشبونة كتجار تجزئة فيقومون بتصريف بضائعهم فى البلاد الواطئة والبلاد الاوروبية الاخرى، وكنتيجة لما واجهوه من مضايقات في تجارتهم مع البرتغاليين إضافة الى ضعف التسلط البرتغالي اتجهوا للتعامل مباشرة مع بلاد الشرق.

ففى عام ١٥٩٢ عقد كبار التجار الهولنديين اجتماعا فى امستردام قرروا فيه انشاء شركة للتجارة مع الهند ونظرا للسرية المطلقة التى فرضها البرتغاليون على الطريق الى الهند. انتدبت الهيئة التجارية الهولندية عنها المستر/ كورنيليوس دى هوتمان الى لشبونه لجمع المعلومات حول التجارة البرتغالية مع الهند. كما استطاعت الشركة الهولندية الحصول على المعلومات المطلوبة من الأسقف الهولندى/ هيوبن فان لينشوتن Hubhen Van Linschoten [٢٧] وقد عاد فى عام ١٥٩٢ من رحلة الى الهند كأمين سر لكبير اساقفة جوا البرتغالى الذى كان يعرف نقاط القوة والضعف فى تعامل البرتغالين مع بلاد الشرق ونشر بعد عودته اسرار الطريق الى الهند، وقد ضمت هذه المعلومات نتائج ابحاثه ودراساته مع ملحق خاص أوضح فيه المعلومات البحرية عن حركة السفن التجارية والرياح والتيارات والموانىء والجزر فى الطريق الى الهند.

وفى عام ١٥٩٤ اجتمع تسعة من تجار شمال هولندا فى أمستردام لمتابعة الموضوع وقرروا تأسيس شركة اطلقوا عليها اسم (شركة الاراضى البعيدة Company of Far Land) [٢٨] وأرسلوا فى عام ١٥٩٨ اسطولا تجاريا الى جزر الهند الشرقية عبر طريق الرجاء الصالح لاحتكار تجارة التوابل فى الشرق يحمل تفويضا رسميا من الحكومة الهولندية بالعمل الحربى والسياسى والتجاري.

حقق الاسطول نجاحا عظيما فقد استطاع فتح ارخبيل جزر الهند للتجارة مع هولندا بعد ان عبر رأس الرجاء الصالح وعقد اتفاقية تجارية بين هولندا وملك بانتام كما حقق ارباحا مالية بلغت اكثر من ٨٠ ألف فلورين. وذلك بالرغم من فقدانه عددا كبيرا من بحارته وغرق إحدى سفنه.

يعزو المؤرخون نجاح هذا الاسطول الى خبرة ودراية قائده/ كورنيليس هوتمان Cornelis Houtman الذى سبق له زيارة الشرق عدة مرات وجمع معلومات

مهمة عن الطرق البحرية للشرق.

وتوالت رحلات الاساطيل التجارية والهولندية الى الشرق حتى انه قدر عدد السفن التجارية الهولندية التى زارت الشرق وجنوب شرق آسيا فى عام ١٦٠١ بخمس وستين سفينة، سيطر الهولنديون خلالها على عدد من المستعمرات البرتغالية فى أرخبيل اندونيسيا وانشأوا عددا من المستعمرات فى تلك الارجاء.

وأمام هذا النجاح والتوسع الهولندى تنادى التجار الهولنديون الى اجتماع فى ١٦٠٢/٣/٢٠ بتوجيه من الرئيس الهولندى/ جوهان ڤان أولدن بورنوفلت Johan Van Olden Bornovelt وقرر التجار توحيد مؤسساتهم تحت اسم شركة الهند الشرقية الهولندية برأس مال قدره ٦,٥ مليون فلورين. وتم دعم الشركة بمرسوم اصدره مجلس طبقات الامة يمنح بموجبه الشركة حق احتكار التجارة فى الشرق وخولها سلطات واسعة فى عقد المعاهدات والمحالفات والاتفاقيات لفتح ما تشاء من الاراضى وتأسيس القواعد وغير ذلك لمدة واحد وعشرين عاما. (٢٩).

واستطاع الهولنديون كسب ود الدولة العثمانية من خلال اعترافهم بتبعية اليمن للدولة العثمانية، وقامت السفينة الهولندية/ تاسو/ بقيادة بيتر ڤاندون بروكة بزيارة لموانىء اليمن ووصل الى مسقط. وحصل على كتاب من باشا صنعاء يأمر فيه رعاياه باستقبال الهولنديين فى كل مكان.

نجح الهولنديون بعقد معاهدة فى عام ١٦٠٤ مع امبراطور ملبار الهندى تنص على طرد البرتغاليين من الهند.

وفى عام ١٦١٨ أصدر السلطان العثمانى فرمانا يخول الهولنديين حق مزاولة التجارة بالبحر الأحمر، لكن الهولنديين استولوا على مجموعة من السفن البرتغالية التجارية مما أثار سخط تجار عمان وجنوب الجزيرة وأدى الى قيام السلطات العثمانية بطرد المعتمديات التجارية فى جنوب الجزيرة وعدم تجديد امتيازاتها (٣٠).

ونجح الهولنديون ايضا فى الاتفاق مع شاه فارس ـ الشاه عباس ـ على حصولهم على حصة من الحرير الفارسى. والذى لم يستطع الا الموافقة باعتبارهم ساهموا مع الانجليز فى عام ١٦٢٥ بالحرب ضد البرتغاليين وفى إجبارهم على التخلى عن هرمز. فكان ذلك الاتفاق بداية لتوطيد اقدام الهولنديين فى منطقة الخليج العربى. وبوفاة الشاه عباس فى عام ١٦٢٩ خسر الانجليز صديقا وفيا لهم. فى حين وطد الهولنديون اقدامهم فى فارس واستطاعوا ان ينتزعوا من الانجليز حصة الاسد بتجارة الحرير. ولم يبزغ عام ١٦٤٠ حتى كان للهولندين مركز الصدارة فى الخليج العربى ويهيمنون على التجارة مع بلاد فارس. بينما كان البرتغاليون مازالوا يحاولون دون جدوى استرجاع منزلتهم التى فقدوها فى الخليج (٣١).

الحملات ضد العرب:

لقد كان اندفاع القوى الاجنبية للسيطرة على الخليج العربى ذا محورين الأول فارسيا والثانى اوروبيا مع تدخل هذين المحورين ضمن دائرة واحدة يعمل الفرس على اشغالها كلية عن طريق التحالف مع أية قوة اوروبية تزحف نحو الخليج العربى للسيطرة عليه وضرب القوى العربية فيه ومن ثم الانفراد بالهيمنة على المنطقة [٣٢].

ففى مطلع القرن السادس عشر اندفع البرتغاليون نحو البحار العربية للتحكم بها والاستيلاء على منافذ التجارة العربية بين الشرق والغرب. فكان احتلال جزيرتى هرمز وقشم ومن ثم فرض البرتغاليون سيطرتهم على موانىء الخليج العربى فى كل من ساحليه. وقابل ذلك التحرك تحرك فارسى مماثل تزعمته الاسرة الصفوية التى تسلمت السلطة فى بلاد فارس عام ١٥٠٠ فالتقت تطلعاتها مع الغزو البرتغالى وتوجت ذلك بمعاهدة تحالف عسكرى للعمل المشترك فى عام ١٥١٥. نصت على ان تكون السفن الحربية البرتغالية فى متناول ايدى الفرس لشن هجوم على البحرين وعلى القطيف [٣٣] واستمرت تلك العلاقة حتى ظهور الهولنديين والانجليز فى مطلع القرن السابع عشر كقوى جديدة فى المنطقة الامر الذى أدى الى متغيرات فى التوجه السياسى الفارسى حيث عمل الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) على استثمار الوضع الجديد للضغط على البرتغاليين كى ينسحبوا من البحرين ليكون بديلهم فى احتلالها.

ومما رجح كفة الهولنديين على الانجليز طوال القرن السابع عشر تقريبا.. ان الانجليز رفضوا الاشتراك بأى عمليات عسكرية مع الفرس ضد الدولة العثمانية او ضد البرتغاليين نظرا لمصالحهم الاخرى فى مناطق غير منطقة الخليج. وهذا ما سبب لهم مشاكل فى فارس استغلها الهولنديون لصالحهم [٣٤] الا ان الهولنديين عانوا بعد ذلك بعض المضايقات وخاصة بعد الاحتلال الافغانى لايران فى عام ١٧٢٢ حيث وجه الافغان انذارا للهولنديين فى عام ١٧٢٧ بإغلاق وكالتهم فى بندر عباس خلال مدة لا تتجاوز اسبوعا [٣٥].

وفى خضم ذلك الوفاق بين الفرس وكل من الانجليز والهولنديين على حساب عرب الخليج اقتناصا لحقوقهم الوطنية والاقليمية. واستلابا لارزاقهم ومعيشتهم وتجارتهم. كونت دولة اليعاربة اسطولا بحريا قويا - كما اشرنا سابقا - للذود عن حياض الوطن وتحرير المواقع والبلدان التى تعرضت للاحتلال البرتغالى والفارسى. ولمقاومة الغزو البحرى الاجنبى المعادى للموانىء والاسواق التجارية.

من هنا كانت المحاولات الفارسية والهولندية والانجليزية لقهر الاسطول العربى اليعربى. الا ان هذه

المحاولات فى كثير من الاحيان لم تنجح وكان مصيرها الفشل فى حين أخذ الاسطول يزداد قوة وسطوة، خاصة بعد ملاحقته البرتغاليين وانتزاع ممباسا منهم فى ١٦٩٨/١٢/١٤ حيث كانت هذه المعركة بمثابة النهاية للتفوق البرتغالى. فازدادت ثقة العرب بأنفسهم وبحقوقهم بعد الانتصارات المتلاحقة التى احرزوها فى شرق افريقيا والهند. حتى ان رئيس شركة الهند الشرقية الانجليزية وصفهم: (بأنهم اصبحوا شديدى الغطرسة، ولا يوجد من يمنعهم من القيام بشن هجمات على كل السفن التجارية باستثناء سفن شركة الهند الشرقية ذاتها لاقتناعهم بتفوق اسطول الشركة على اسطولهم) [٣٦].

لكن اقتناع رئيس شركة الهند الشرقية بتخوف الاسطول العربى من الاسطول الانجليزى لم يذهب بعيدا. حيث ان السفن الانجليزية لم تنج من هجمات السفن العربية فقد هاجمت سفينتان عربيتان فى تلك الفترة احدى السفن الانجليزية الخاصة وكانت محملة بالمنتجات الهندية فى طريقها الى بندر عباس. وهى اول حادثة معروفة يتعرض فيها البحارة العرب للسفن الانجليزية.

وكان الفرس فى محاولات دائمة السيطرة على موانىء الخليج العربى بشاطئيه الشرقى والغربى مستغلين توافق المصالح مع الحملات الاوروبية على منطقة الخليج، مستعينين تارة بالبرتغاليين وتارة بالانجليز وأخرى بالهولنديين ورابعة بالفرنسيين. وكانت تلك القوى تتصرف وفق ما تمليه عليها مصالحها وعلاقاتها سواء المحلية او الخارجية.

ومن ذلك ان حاولت السلطات الفارسية فى صيف عام ١٦٩٩ الحصول على مساعدات فرنسية ضد العرب العمانيين بعد ان رفض كل من الانجليز والهولنديين تقديم المساعدة، وفشل البرتغاليون ايضا فى تقديم مساعدات فعالة للقوات البحرية الفارسية. فبعث محمد مؤمن معتمد الدولة الفارسية مذكرة للملك لويس الرابع عشر للدخول بحلف عسكرى مع فرنسا لاحتلال مسقط، وقد نصت المذكرة على: ان مشروع الاحتلال يحتاج الى ثلاثين الف جندى وعدد من السفن لنقلهم الى الساحل العمانى، واشترط ان تكون نفقات الحملة مناصفة بين الدولتين وكذلك الغنائم التى يحصل عليها الطرفان المتحالفان. وتناولت المذكرة ايضا التفصيلات الى حد انها أوضحت ما سوف يسلم للفرنسيين من حصون حول مسقط، وما يختص به الفرس، فللفرنسيين حصنا جلالى ومارانى بينما يحتل الفرس بقية الحصون الداخلية [٣٧]. ولكن هذا الحلف لم ينفذ، فجدد الشاه بعد ذلك عروضه للفرنسيين فأرسل فى عام ١٧٠٣ خطابا الى الملك لويس الرابع عشر لانشاء علاقات دبلوماسية بين

الدولتين على مستوى السفراء لتنسيق العلاقات الاقتصادية وغيرها بين البلدين. وأدت الاتصالات الى عقد اتفاقية عامة فى عام ١٧٠٨ اتبعها الشاه فى عام ١٧١٥ بمبعوثه/ محمد رضا بك سفيرا له لدى فرنسا والذى طلب لدى مقابلته الملك الفرنسى لويس الرابع عشر ان تبادر فرنسا بارسال اسطول الى مياه الخليج ليقاتل فى صفوف الفرس من اجل احتلال عمان [٣٨] بناء على الوعد الشفوى الذى قدمه السفير الفرنسى ميشيل الى الشاه فى وقت سابق. ولم ينجح الفرس هذه المرة ايضا فى جلب الاسطول الفرنسى لمساعدتهم ضد العرب فقد وجد الفرنسيون ان ذلك ليس فى صالحهم لاسيما وان الاسطول العربى ذو شدة وبأس.

لقد كان للاسطول اليعربى وبحارته الاقوياء من القواسم وغيرهم هيبة فى البحر وفى مواجهة الاعداء مما جعل الانجليز والهولنديين يحسبون لأية خطوة يخطونها ضد العرب مباشرة او مدهم يد المساعدة للدولة الفارسية، يحسبون الف حساب حتى ان القائد الانجليزى الكسندر هاملتون وصف الاسطول العربى فى تلك الفترة وصفا دقيقا حين قال بأن الاسطول العربى فى عام ١٧١٥ كان يتكون من سفينة كبيرة تحمل اربعة وسبعين مدفعا وسفينتين اقل حجما تحمل كل منهما ستين مدفعا، وواحدة اخرى ثبت عليها خمسون مدفعا، وثمانى عشرة سفينة صغيرة تحمل كل منها ما بين اربعة الى ثمانية مدافع. وبفضل هذه القوة البحرية مد العرب نفوذهم من رأس قمران حتى البحر الاحمر. وكما يقول د. صلاح العقاد فى كتابه ـ التيارات السياسية ـ إنه رغم رابطة الدين التى جمعت بين العرب والفرس فإن الصراع كان شديدا فى ذلك الوقت ولم يتردد حكام فارس في الاستعانة بالقوات الاوروبية لمهاجمة العرب، وفى النهاية كان الاوروبيون هم المستفيدون من هذا الصراع [٣٩].

وواصل الاسطول العربى حملاته التحريرية للذود عن الارض العربية وتحريرها من الاحتلال فقد أرسل الامام سلطان بن سيف اليعربى فى عام ١٧١٧ حملة الى جزر البحرين لتحريرها من الاحتلال وقد تمكنت هذه الحملة من طرد الفرس من الجزيرة وتابعت مسيرتها الى الجزر المحتلة الاخرى وتتبعت السفن الفارسية على الساحل الشرقى للخليج حتى حاصرت جزيرة قشم وركزت على مدينة لافت وهرمز. وفى عام ١٧١٧ كادت هرمز ان تسقط فى ايدى البحارة العرب [٤٠] لولا تدخل البرتغاليين الذين هرعوا لمساعدة الفرس بقوة كبيرة، وفك الحصار عن هرمز ومن ثم الاستيلاء على البحرين ثانية.

وفى عام ١٧١٩ وصل اسطول برتغالي آخر الى الخليج ودارت معارك عنيفة بينه وبين الاسطول العربى، اضطرت فيها السفن العربية

للانسحاب الى رأس الخيمة.

ثم كان الاحتلال الافغانى لايران فى اكتوبر ١٧٢٢ فزالت الدولة الصفوية وسادت الفوضى البلاد الفارسية وعم الاضطراب وكسدت التجارة وتوقفت حركة الصادر والوارد. وهكذا ايضا كان شأن الدولة اليعربية التى سادتها الخلافات والانقسامات.

ورغم الظروف الصعبة المحيطة بالمنطقة من اضطرابات وصدامات وتدخلات اجنبية عدوانية. فقد استمر الاسطول العربى بقيادة القواسم فى حروبه ضد الغزو الاجنبى للخليج ووقفت السفن العربية بكل صلابة تواجه الاطماع الشرسة الرامية للسيطرة على الجزر والموانىء العربية.

ولاستعادة مكانتهم قدم الهولنديون مساعدات عسكرية بحرية كبيرة الى الفرس ضد العرب الذين كانوا يغيرون على مواقع عربية على الساحل الشرقى للخليج لتخليصها من الاحتلال الاجنبى كما قدم الهولنديون المساعدة للفرس فى عام ١٧٣٧ في حملة بحرية ضد قبائل البلوش بقيادة الملك دينار.

وفى عام ١٧٤٠ قدم الهولنديون مساعدات بحرية للقائد الفارسى/ محمود تقى خان ضد البحارة العرب العاملين فى الاسطول الفارسى ـ الذى سبق ذكره ـ ولاستعادة السفن الفارسية التى يسيطر عليها العرب. ولكنهم فشلوا فى ذلك [٤١].

كما استعان نادر شاه بالهولنديين ضد القائد الفارسى محمود تقى خان حاكم بندر عباس. وكافأهم على ذلك بان قدم لهم التسهيلات التجارية وسمح لهم بإنشاء مقيميه تجارية فى ميناء بوشهر سنة ١٧٤٧، وبعث الهولنديون بعد ذلك بسفينة هولندية كبيرة الى بندر عباس من تبانيا بقيادة مينهر سكوند يورت M. Secondeiwort يرافقه عدد كبير من الجنود الهولنديين مجهزين بأحدث المعدات القتالية وكميات ضخمة من البضائع بهدف إدخال الفزع فى نفوس الاهالى وخاصة فى نفوس القبائل العربية. وكذلك ليسوقوا بضائعهم. ولكنهم فى وقت لاحق اصيبوا بخيبة امل لأن العرب لم يأبهوا بقوة الهولنديين. ففى ٢٣ ابريل ١٧٥٣ هجم عرب جزيرة قشم على السفينة الهولندية/ نانسى Nancy بالقرب من ميناء لافت واستولى عبدالشيخ حاكم الجزيرة على معظم حمولتها قبل اغراقها.

ومع ان السلطات الهولندية لم تكل فى محاولتها للمحافظة على ما وصلت اليه من مكانة وسلطة فى منطقة الخليج العربى فقد وجدت ان بقاءها فى بندر عباس أصبح مستحيلا مما اضطرها لاغلاق وكالتها فى بندر عباس سنة ١٧٥٩ [٤٢].

الهولنديون وعرب الخليج

عندما قرر الهولنديون فتح اسواق لهم ومراكز تجارية فى بلاد الشرق

الاوسط عامة والخليج العربى خاصة. اتجهوا للتعامل فى أهم المواد والسلع التجارية رواجا فى كلا الاتجاهين فكان حصولهم على التوابل والحرير واللؤلؤ يمثل قمة النجاح، كما ان بيعهم لمنتجاتهم الصوفية فى اسواق المناطق الباردة يعتبر ايضا قمة النجاح. ولهذا الغرض فقد كانت هولندا اكثر القوى إسهاما فى تصفية الوجود البرتغالى فى البحار الشرقية فى نهاية القرن السادس عشر وبالتالى كانت اكثر هذه القوى استفادة من هذه التصفية. حتى أنه لم يحل عام ١٦٤٠ الا وكانت البضائع الهولندية تغرق أسواق بندر عباس وتنتشر فى المنطقة. ومن ذلك استطاع الهولنديون ان يحققوا أرباحا طائلة عن طريق احتكارهم لتجارة التوابل فقد كانت سفنهم تجوب الموانىء العربية والهندية بحرية تامة [٤٣].

وتتابعت بعدها اعمال تدعيم النفوذ الهولندى فى الخليج فقد هاجم اسطولهم جزيرة قشم فى عام ١٦٤٥ وأعلن سيادته عليها واضطر الشاه الى الاعتراف بهذه السيادة.

ومن منطلق العداء المشترك للوجود البرتغالى فقد ساد العلاقات الهولندية اليعربية العمانية لون من الود، بدأ واضحا بإعراب الهولنديين عن سرورهم لاسترداد العرب العمانيين مدينة مسقط من البرتغاليين فى عام ١٦٥٠ وقد أدى ذلك الى زيادة وتضخم التجارة الهولندية فى المنطقة.

واستمرارا لسياسة التفاهم بين الطرفين قدم الامام سلطان بن سيف الأول في عام ١٦٥١ عرضا مغريا للهولنديين يختص بتسهيل انتقال بضائعهم عبر الاراضى العمانية الى البصرة بدلا من بندر عباس - جامبرون - وكان لهذا العرض أهمية كبرى للطرفين.

وفى عام ١٦٥٤ وضع الهولنديون خطة لارسال تجارتهم الى جلفار - رأس الخيمة - لشراء اللؤلؤ. فقد جاء فى تقرير [٤٤] للحاكم العام الهولندى فى بتافيا الى مدراء الشركة فى هولندا بتاريخ ١١ نوفمبر ١٦٥٤ حول تجارة اللؤلؤ في منطقة جلفار، قوله :

« برأينا اذا فخامتكم ترغبون فى المضى بهذه التجارة، فإنه يتوجب إرسال شخصين ماهرين ومختصين من التجار القديرين الى البحرين أوالى جزر جلفار قبل بعض الوقت من بدء موسم الصيد - الغوص - المعتاد، حيث يتم صيد هذه المجوهرات. ومن الواجب إبلاغهم بالبقاء من بداية موسم الصيد حتى نهايته. وهكذا يتعرفون شخصيا على طريقة العمل التجارى المتبع فى تجارة اللؤلؤ. وتعتبر هذه الوثيقة بمثابة الاشارة الى أول الخطوات المتخذة لتأسيس علاقات تجارية بين البلاد الواطئة - البنولوكس - وبلاد الامارات الخليجية. ورغم ان تجارة اللؤلؤ الهولندية لم تلق النجاح المرتجى، الا ان الهولنديين كانوا فى كثير من

الاحيان يدرسون إمكانية إقامة علاقات تجارية مع العرب الذين وجدوا فيهم تجارا متفهمين لطبيعة هذا العمل وأكثر ودا من التجار الفرس المتشددين [٤٥].

وكما اسلفنا فان الهولنديين جاءوا الى الخليج عام ١٦٢٣ الى جانب البريطانيين وانشأوا لهم مركزا فى بندر عباس حيث كانت شواطىء الامارات آنذاك لا زالت خاضعة للنفود البرتغالى. وكنتيجة لاتساع التجارة الهولندية مع بلاد فارس قام الانجليز بتحريض الشاه عليهم، وقد نجحوا فى ذلك مما أدى الى قيام الاسطول الهولندى بغارة تأديبية على بندر عباس فى عام ١٦٨٤ التى كانت خاضعة للشاه آنذاك.

لم يكن اليعاربة على استعداد لاستبدال السيادة البرتغالية بسيادة هولندية خاصة مع وجود قوة بحرية عربية يمثلها الاسطول العربى الذى يجوب مياه الخليج العربى والمحيط الهندى ناشرا الرعب والذعر فى قلوب الشركات الاجنبية فى هذه البقاع.

وكان طبيعيا ان يحدث احتكاك بين الهولنديين واليعاربة والذى بدأ منذ عام ١٦٩٥ وما بعدها. حيث أخذت السفن اليعربية تهاجم السفن الهولندية فى مياه الخليج وفى مياه المحيط. وتفاقم الصراع بين العرب والهولنديين الى حد كبير، ويرجع ذلك الى نشوب صراع بين البحارة العرب والفرس مما جعل الفرس الذين ليس لهم قبل بالبحر يستعينون بالهولنديين ضد البحارة العرب الذين ثاروا على الفرس بعد ان تعاقدت معهم على العمل تحت رايتها ولكنهم قتلوا قائدهم الفارسى اثر توجيههم لمقاتلة اشقائهم العرب فى مسقط، فاستولوا على الاسطول الذى كان يتكون من ثلاث سفن كبيرة وثلاث سفن صغيرة ومركب شراعى بساريتين، فاستنجدت الحكومة الفارسية بالهولنديين الذين سارعوا بسفينتين على كل منهما عشرون مدفعا، بحثا عن الثوار العرب واشتبكوا معهم فى معركة حامية كان من نتيجتها ان اغرق العرب إحدى السفينتين وعاد الهولنديون الى قاعدتهم دون ان يحققوا شيئا لحليفتهم دولة الفرس.

وأمدت بعدها الشركة الهولندية الفرس بسفينتين من نوع الغراب لمواجهة القوة العربية وإثر ذلك دارت مناوشات بين الجانبين افزعت القوة الحليفة فسارعت الى الفرار واللجوء الى ميناء كنج.

وتشير الكتابات التاريخية الى ان الهولنديين لم يكونوا يثقون بالفرس الا انهم قدموا لهم مساعداتهم تلك طمعا في منحهم إحدى جزر الخليج العربى لاتخاذها مركزا مستقلا لهم عن جميع القوى المحلية [٤٦].

أما عن رأس الخيمة التى كانت معروفة آنذاك باسم/ جلفار/ والتى تحررت من النفوذ البرتغالى فى عام ١٦٣١ فقد بدأت بعد ذلك التاريخ

تستعيد مكانتها التجارية شيئا فشيئا حتى أصبحت فى حوالى عام ١٧٠٠ مركزا مهما للتجارة الدولية حيث عمل الهولنديون على التعامل معها [٤٧]. الا انه لم تكن لديهم الرغبة فى منافسة العرب فى تجارتهم ذلك أن العرب هم أنفسهم بحارة وتجار يستطيعون تقديم البضائع بأسعار أرخص من التجار الاوروبيين.

ومن بين أوجه التعاون ما أشار إليه تقرير لرئيس المؤسسة الهولندية فى (جامبرون) الى الحاكم العام الهولندى فى الهند الشرقية بتاريخ ٢٧ يناير ١٧٠٢ تتعلق بسفينة هولندية متوجهة من الهند الى جلفار ـ رأس الخيمة ـ حيث واجهت السفينة طقسا سيئا من امواج عالية وعاصفة رعدية. مما اضطرها للرسو فى بارسالو وانزال حمولتها من البضائع ووضعها فى مقر شركة الهند الشرقية الهولندية هناك انتظارا لتحسن الطقس وعندها حملت السفينة بضائعها اضافة الى بضائع اخرى لتاجر عربى ولاثنين من سكان (كانورا) متوجهين الى جلفار [٤٨].

ان النمو التجارى للدولة اليعربية ونمو الموانىء العربية مسقط وجلفار والبحرين وحصولها على مكانة تجارية مؤثرة جعلتها فى طليعة الفعاليات الاقتصادية العربية آنذاك جعل هذا النمو وما اكتسبته عمان من قوة سببا مثيرا وداعيا للغضب فى بلاد فارس. مما أدى الى معارك حربية والى قيام تحالفات بين الفرس والبرتغاليين ضد العرب. ومن ذلك كانت معركة بحرية فى رأس الخيمة فى عام ١٧١٨ حاول فيها البرتغاليون حصار البحرية العربية هناك، ولكن دون فائدة. وفى الجهة المقابلة من الخليج كان شيخ رأس الخيمة رحمة بن مطر قد حاصر جزيرة هرمز لمدة طويلة، ولكنه لم يكن مستعدا لمواصلة هذا الحصار حتى يجبر القلاع فيها على الاستسلام [٤٩].

وقد كشفت رسالة بعث بها الشيخ رحمة بن مطر ـ القاسمى ـ الى المعتمد الهولندى فى الخليج بتاريخ ١٧١٨/٢/٢١ اعرب فيها الشيخ رحمة عن مشاعر الود والصداقة والاعتزاز بالعلاقات الودية بينه وبين الهولنديين. وابدى اعتذاره عن مصادرة البحارة القواسم لمركب اجنبى فيه ثلاثة اشخاص أجانب، اتضح فيما بعد ان المركب هولندى. وانه لذلك اطلق سراحه وسراح الاشخاص الثلاثة [٥٠].

ثم كان رد المعتمد الهولندى المفعم بعبارات الود والشكر لاطلاق سراح المركب والاشخاص الثلاثة المشار اليهم وكذلك الاعراب عن المطالبة بإطلاق سراح محتجزين آخرين أجانب لدى القواسم فى لاراك.

ومما يعكس تلك العلاقات ايضا رسالة بعث بها رئيس المؤسسة الهولندية فى بندر عباس فى شهر اكتوبر من عام ١٧٢٨ الى مبعوث المؤسسة فى جزيرة هرمز جاء فيها:

«ان الشيخ رحمة الرئيس القوى لجلفار. هو رجل معروف جدا لى. وقد حاول التملك فى هرمز. وانه عندما يريد ذلك الرجل تأسيس مكانته هناك، فانه من الممكن ان يساهم كثيرا فى إنجاح التجارة فى هرمز لأن ذلك الصديق معروف بأنه من اغنى الاغنياء ومن اقوى التجار فى الجزيرة العربية. وفى المنطقة المحيطة بنا بالذات (الخليج الادنى). وانه اذا كان شخصيا سيحضر الى هرمز (وانى غير متأكد من ذلك وفيما اذا كان بقاؤه فى هرمز ملائما لشعبه) فإنه من الامور الممتازة ان نقدم له الود»[٥١].

لقد ساعد الهولنديون الشيخ العربى/ راشد بن مطر زعيم قبيلة القواسم آنذاك برأس الخيمة ـ جلفار ـ لتثبيت سلطته وحكمه فى جزيرة قشم. وقد أنشأ الشيخ راشد فى هذه الجزيرة قوة تجارية صغيرة مستقلة وفعالة.

فقد أحب الهولنديون الشيخ راشد الا ان الانجليز كانوا على العكس من ذلك فتعاونوا مع الفرس ضده، ولكن راشد كان قويا فقد حمى نفسه لمدة طويلة، والشيخ راشد اقام علاقات مع الادارة الهولندية فى بندر عباس فقد كان هناك مراسلات بينهما محفوظة حتى الآن فى خزائن الارشيف الهولندى. ومن هذه الرسائل رسالة بعث بها فى ١١/٥/١٧٣٢ من جزيرة قشم جاء فيها: [٥٢] بعد التحيات.

«لقد وصلتنى رسالة سعادتكم الافخم فى الوقت المناسب، وكنت جدا سعيدا باستلامها. ولكن من جهة اخرى كنت آسفا لعدم تمكنى من الكتابة اليكم مبكرا من قبل لأن مسئوليات عديدة حالت دون ذلك...

وقال: انى اطلب من سعادتكم بكل الصداقة ان لا تعتقدوا بأنى خائف من وصول محمد على خان مع قوة عسكرية كبيرة الى الاراضى المنخفضة فى البلاد.. ان نفسى مرتاحة لأنى لم أوذى احدا، فكل ما عملته هو إقامة بلدة صغيرة ممتازة ومزدهرة جدا تجاريا حيث لجأ اليها الفقراء واللاجئين المنهكين الذين كان همهم إيجاد مأوى يعيشون فيه.

لهذا لا اجد اى سبب للخوف او الاكتراث، بل على العكس.. انى اجد الوقت مناسب لأعلن بأنه من حقى السعى لأخذ عرشه ردا على عدائه الأعمى..

كما اننى أقيم بمكان محصن تحصينا عظيما حيث لا يوجد هناك ما يدعو للخوف. أدعو الله ان يمنح جلالة ملككم الصحة الدائمة والسعادة فى الحياة. ولمعلومات سعادتكم فإن الشهبندر ـ ميرزا محمد هو عضيد جيد ومساعد جيد لى..» وتضمنت الرسالة الكثير من عبارات الصداقة والود.

ورغم ذلك الود فقد كان الهولنديون يهبون وفق ما تمليه عليهم مصالحهم الى تقديم مساعداتهم للحملات الفارسية فى حروبها ضد البحرين

وساحل عمان، ففى عام ١٧٤٠ قام الاسطول الهولندى بمظاهرة عسكرية على إثر التمرد الذى قام به البحارة العرب فى بعض قطع الاسطول الفارسى فى ذلك العام. فقد ارسل وكيل مجلس جامبرون ـ بندر عباس ـ رسالة بهذا الخصوص بتاريخ ١٠/١٢/١٧٤١ الى رئاسته قال فيها: « ثار العرب فى خدمة البحرية الفارسية واخذوا بعضا من السفن. لهذا قام الهولنديون بضرب الثوار العرب باثنتين من سفنهم، ولكنهم لم يكسبوا سوى القليل ».

ووصف تقرير [٥٣] كتبه الهولنديان المقيمان فى جزيرة خرج T.F. Vankniphausen J. Vander Hulst فى عام ١٧٥٦ وصف منطقة الساحل الغربى للخليج العربى بين القطيف والصير ـ رأس الخيمة حاليا ـ فقال: هناك ثلاثة مواقع بارزة على الساحل وهى: الصير، جوهار، والشارقة، والتى يجلب لها الرز والتمر من البصرة ليباع الى عرب الصحراء والى غواصى اللؤلؤ.

الصير.. كما هو معروف محصنة جيدا وفيها عدد من المدافع ويسكنها عرب من قبيلة الهولا ـ المسمون بالقواسم. ويحكمها الشيخ رحمة بن مطر الذى يقال له ايضا الشيخ كايد. وقد ايدته مختلف قبائل البدو العربية الصحراوية.

ويعتبر الشيخ رحمة فى الواقع الاقوى فى شيوخ وحكام عرب الهولا

وقد سلح من جماعته اربعمائة رجل فى مدينة الصير التى يتبعها ميناء جيد قادر على احتواء اكبر المراكب. وهناك تحت امرته حوالى ستين مركبا اغلبها كبيرة وواسعة ومزودة بكل الاحتياجات بشكل جيد.

وفى السنة الماضية لذلك التاريخ قام الشيخ رحمة بالتعاون مع ملا على شاه حاكم بندر عباس الذى تربطه به قرابة المصاهرة. بحملة بحرية اعاد فيها مدينة لافت فى جزيرة قشم الى السلطة العربية.

الهوامش

١ ـ عمان تاريخ يتكلم ص ١٩٢.
٢ ـ دولة اليعاربة، د. عائشة السيار ص ٣٠ نقلا عنDennis OP. Cit. P. 210
٣ ـ Ross. OP. Cit. P. 160.
٤ ـ Badger : OP.Cit P 67& Miles op.P .204
٥ ـ Badger: OP. Cit. P. 66
٦ ـ لو ريمر ج ١، ص ١٢٧.
٧ ـ Ibid P. 220
٨ ـ Lockhart, Nadir Shah's Compaigns in Oman 1737 - 1744 p.160
٩ ـ Dr. Slot. In the Land Of the White Tower, P. 6
١٠ ـ الوثيقة محفوظة فى الارشيف ـ القسم الهولندى تحت رقم182 - VOC 2476
١١ ـ Lockhart: Nadir Shah P. 184
١٢ ـ I. O. R .G . 129 — 5 — 15 th September 1740
١٣ ـ د. عبدالامير محمد أمين، ص ٢٥
١٤ ـ جان جاك بيربى ـ الخليج العربى ص: ٤.
١٥ ـ مخطوطة الجواهر واللآلى فى تاريخ عمان الشمالى، عبدالله صالح المطوع.
١٦ ـ المفصل فى تاريخ الامارت العربية المتحدة ـ فالح حنظل، ص ١٠٩.
١٧ ـ نفس المصدر السابق ص ١٢٦.
١٨ ـ دور القواسم فى الخليج العربى، د. صالح العابد ص ٨٨.
١٩ ـ ابن رزيق ـ الشعاع الشائع ص ـ ٣١٤ ـ ٣١٥، وعائشة السيار ـ دولة اليعاربة ص ١٩٠.
٢٠ ـ كتاب وثائق عن الصومال، الحبشة واريتريا ـ احمد برخت ماح ص ١٨٢.
٢١ ـ نفس المصدر ص ١٨٥.
٢٢ ـ وردت تفاصيلها فى كتاب91 Haklay, Richard Voyages & Discoveries P.
٢٣ ـ Steensgard. OP. P. 121
٢٤ ـ لوريمر ج ١، ص ٢٣.
٢٥ ـ د. خانبابا بيانى، خليج فارس وريزيان صفوية، ص ٩٨.
٢٦ ـ مصطفى عقيل الخطيب ـ التنافس الدولى فى الخليج العربى ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
٢٧ ـ C. R . Boxer. The Dutch Seaborne Empire 1660 - 1800 P. 22

٢٨ ـ C. R . Boxer OP. Cit P. 233

٢٩ ـ مصطفى عقيل الخطيب ـ التنافس الدولى فى الخليج ص ١٤٦.

٣٠ ـ جاكلين بيرين ـ اكتشاف جزيرة العرب، ص ٨٢

٣١ ـ الخليج العربى. قدرى قلعجى، ص ٣٨٦.

٣٢ ـ د. علاء الدين نورس ـ السياسة الايرانية فى الخليج العربى ص ٧.

٣٣ ـ Lorimer, OP. Cit. Vol. 1, Part 1 A PP. 4-5

٣٤ ـ ج . ج لوريمر ج ١، ص ٦٢ ـ ٦٣.

٣٥ ـ د. محمود على الداود ـ العلاقات الهولندية مع الخليج العربى ص ١٦.

٣٦ ـ Bruce's Annals - Vol. III P. 439

٣٧ ـ لورنس لوكهارت ـ انقراض سلسلة صفوية، ص ٥٠٩ ـ ٥١٠.

٣٨ ـ د. محسن عزيزى ص ١٢.

٣٩ ـ د. صلاح العقاد، ص ٤٩.

٤٠ ـ سليمان الباروني ص ٥٦.

٤١ ـ محمد حسين قدوسى ـ نادر نامة ص ٢٠٢.

٤٢ ـ لوريمر ج ١، ص ٢١٧.

٤٣ ـ دولة اليعاربة، د. عائشة السيار، ص ١٧٥.

٤٤ ـ وثيقة من الارشيف الهولندى رقم1208 Voc Vol.

٤٥ ـ تقرير لقبطان السفينة الهولندية (ميركات) عن رحلة لها فى موانىء الساحل العمانى ـ الامارات ـ رقم التقرير فى الارشيف1259 Voc.

٤٦ ـ Saldanha, Public Department Diary No. 10 of 1736,1737 P. 56

٤٧ ـ د. سلوت Dr. B.J. Slot-In the Land of the White Tower P.3

٤٨ ـ تقرير رئيس المؤسسة الهولندية فى جامبرون، تحت رقم ١٦٦٧ فى الارشيف الهولندى...

٤٩ ـ د. سلوت ـ المرجع السابق ـ ص ٥.

٥٠ ـ الرسالة موثقة تحت رقم438-437 Vol. 1913 P.

٥١ ـ وردت الرسالة فى الوثيقة رقم3657 - 2114 Voc.

٥٢ ـ الرسالة محفوظة فى الارشيف الهولندى تحت رقم 1278-1274 - Voc. 2254 P.

٥٣ ـ جاء هذا التقرير ضمن الوثيقة المعنونة بـ Aanwinsten le afdeling 1889

23 - B